

الإستشهاد فى المسيحية

زكريا عبد السيد

قامت الديانة المسيحية على الحب، الحب البازل، الحب الذى يستهين بكل شئ ويتخطى كل الصعاب ويصير على الضيقات "هكذا أحب الله العالم حتى بذلك ابنه الوحيد" (يو 3:16). وإذا كانت المسيحية هى ديانة الحب.. فهى أيضاً ديانة الألم "وهب لكم لأجل المسيح لا أن نؤمنوا به فقط بل أن نتألموا أيضاً" (فى 1:29).

أولاً: من هو الشهيد؟

كلمة شهيد استخدمت للتعبير عن إنسان لديه معلومات عن أحداث سابقة عن طريق الإشتراك فيها، لكنه لا يحتفظ بهذه المعلومات لنفسه، بل يشهد بها.. وقد أطلقت أولاً على الرسل كشهود لحياة السيد المسيح وقيامته (أع 1:8)، ومع إتساع دائرة الإضطهاد استخدمت للتعبير عن أولئك الذين احتملوا شذائد من أجل الإيمان (المعترفين)، وأخيراً خصصت فقط للذين قبلوا الموت لأجل الإيمان، وفى اللغة العربية كلمة استشهاد تعنى إنساناً قتل فى سبيل الله.

ثانياً: أسباب الإضطهاد والدولة المسيحية :

- 1- الديانة المسيحية جاءت بمفاهيم جديدة لم تكن موجودة من قبل: أى أنها غيرت شكل العبادة وجوهرها من حيث الملبس والمأكّل - لم يعد الأجنبى يدينس المعبد أو يدينس القربان لمجرد حضوره - لم يعد الكهنوت وراثياً - لم تعد العبادة سرّاً محفوظاً - ولم تعد شعائر الصلوات مخبأة - لم تأمر بالبعضاء وخاصة نحو الأجنبى.
- 2- المسيحية جاءت كديانة مسكونية: أما بقية الديانات الأخرى فقد كانت ديانات محلية، أى أن كل مدينة كان لها الآلهة الخاصة بها.
- 3- الديانة المسيحية نادت بأنها هى الديانة الوحيدة الحقّة.
- 4- المسيحية علمت بفصل الدين عن الدولة "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله".
- 5- النشاط الحماسى الشديد للروحانية بالمقارنة بالنشاط الإجتماعى.
- 6- إتهام المسيحيون بالإلحاد.
- 7- المنتفعون (مثل ديمتريوس الصائغ فى أفسس).

ثالثاً: المسيحي فى الدولة وعصور الإضطهاد :

- 1- خطورة وضعه : لقد كان وضع المسيحي فى الدولة الرومانية سواء كان حراً أم عبداً محفوظاً بالخطر دائماً، وكان من الصعب عليه أن يفلت من أعدائه. فقد كان حذره يجلب عليه الإضطهاد كما إمتناعه عن بعض ممارسات الحياة الوثنية كفيلاً بكشف أمره.
- 2- حياته اليومية تكشفه وتعرضه للخطر : توقف المسيحي عن ممارساته الوثنية السابقة لإيمانه كانت تؤدى إلى كشف أمره.
- الحديث العادى بين الناس كان يقترن بالصيغ والآثار الوثنية، وكان ذلك يؤدى إلى كشف المسيحي، ويعتبر تحدياً مستفزاً وأثاره للوثنيين.
- 3- مشكلات الزواج المختلط : والزواج المختلط يعنى زوجة مسيحية لزوج وثنى، وقد كانت المرأة المسيحية تحتمل الكثير من زوجها إذا كان ما يزال وثنياً.
- توقف المرأة عن الذهاب لإجتماعات العبادات الوثنية كان يؤدى إلى كشف أمرها، بالإضافة إلى أنها لم تكن تستطيع إكرام الضيوف من أخوتها فى الإيمان أو زيارة أسر الشهداء، حتى لا تعرض نفسها للخطر، أو إذا حاولت الزوجة استمالة زوجها للإيمان ولكنه رفض وطلبت منه الإنفصال، فإنه يقوم بالإبلاغ عنها على أنها مسيحية.

- 4- إمتناعه عن بعض الحرف : مثل صناعة التماثيل الوثنية وبيع الضحايا والقرابين (وقد كانت تدر ربحاً وبيعاً وفيراً).
- 5- خطورة المناصب العامة (حاكم أو ضابط في الجيش) : فقد كان أصحاب المناصب العامة يقسمون أقساماً وثنية معينة - يحرقون البخور لصورة الإمبراطور.
- يمارسون الطقوس الوثنية في الحروب، أو قبل وأثناء الحرب.
- يحكى عن القديس مارينوس أنه عند ترفيته إلى رتبة أعلى، طعن فيه زميله بأنه مسيحي فكان تصيبه الموت.
- 6- عبادة الإمبراطور.
- 7- المسيحية أبشع الجرائم.

رابعاً: حلقات الإضطهاد : نيرون - دقلديانوس وأعوانه

: ويمكن تقسيم حلقات الإضطهاد التي مرت بها المسيحية إلى أربعة أقسام:

أولاً : موجات من الإضطهاد :

- 1- **نيرون (54-68م) :** بدأ هذا الإضطهاد سنة 64م بعد حريق روما في 64/7/18م، وأهمية هذا الإضطهاد أنه كان بمثابة تعبئة لشعور جماهير الوثنيين ضد المسيحية.
- كان الشرارة الأولى التي أضرمت سلسلة حروب طويلة ضد المسيحية.
- من شهود هذه المرحلة القديسين العظيمين بطرس وبولس سنة 68م.
- 2- **دوميتان (81 - 96م) :** كان يدعو نفسه إليها، اعتبر المسيحية جريمة ضد الدولة - حكم على الكثيرين من المسيحيين بالموت، ومن بينهم أقرب أقرانه القنصل فلافيوس كلمنضس، وهو الذي أمر بإلقاء القديس يوحنا الحبيب في الزيت المغلي، ثم عاد نفاه في جزيرة بطمس.
- أثار إضطهاداً شديداً على آسيا الصغرى. في عهده استشهد انسيموس وديوتسيوس الأريوباغي وقد قتل هذا الإمبراطور في قصره على يد أعدائه، ومحي اسمه من التاريخ.
- 3- **تراجسيان (98-117م) :** أول إمبراطور يعلن أن المسيحية ديانة محرمة، أحيا التشريعات السابقة ضد جميع الهيئات والجماعات السرية. وقد اعتبرت المسيحية من هذا النوع. في عهده استشهد القديس مار أغناطيوس أسقف أنطاكية سنة 107م وسمعان أسقف أورشليم.
- 4- **مرقس أوريليوس (161-180م) :** كان كفيلسوف على عرش الدولة الرومانية - كان مثقفاً جداً وكان ينظر إلى المسيحية على أنها خرافة سخيفة. أحدث اضطهاد شديداً في جنوب فرنسا ومن الشهداء في عهده يوستينوس المدافع والفيلسوف.

ثانياً : الإضطهاد المنظم :

- 5- **سيثيموس ساويرس (193-211م) :** في عام 202 أصدر مرسوماً يقضى بمنع المسيحيين من تبشير غيرهم وضم متتصرين جدد. وبسبب هذا المنشور حلت أشد الإضطهادات بالمؤمنين في مصر وشمال أفريقيا، ومن هؤلاء الشهداء (ليويتوس والد العلامة أوريغانوس - بوطامينا العذراء العفيفة).
- أوقلت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية.
- نفى البابا ديمتريوس الكرام إلى أوسيم، وعذب أغلب رؤساء الكنائس.
- 6- **مكسيموس التزافي (235-238م) :** وضع صورة السيد المسيح مع الآلهة الوثنية - أضطهد المسيحيين منذ بداية عهده وذلك معارضة لسياسة سلفه اسكندر ساويرس الذي كان متسامحاً مع المسيحيين ، وفي عهده حدثت زلازل فأعتبر أن المسيحيين هم السبب وأنزل عليهم إضطهاداً وأمرأ بربرياً قاسياً.
- ثالثاً : الإضطهاد الشامل :
- 7- **ديسيوس (249-251م) :** أصدر مرسوماً سنة 250م، ووجهه إلى حكام الأقاليم يحتم عليهم ضرورة إعادة الديانة الوثنية مهما كلفهم الأمر، وكان هذا المرسوم نذيراً بالاضطهاد الكبير العام الذي فاق في وحشيته كل ما سبقه ومن الشهداء (مركوريوس أبي سيفين - فابيانوس الروماني - كبريانوس أسقف قرطاجنة).
- 8- **فالريان (253-265م) :** بدأ حكمة متسامحاً ولكنه عاد واستخدم سلاحاً جديداً وهو مصادرة الأملاك وتحريم الاجتماعات الدينية.
- أرسل إلى مجلس الشيوخ الروماني أمراً يقضى بأن رجال الاكليروس الأساقفة والقساوسة والشمامسة ينبغي أن يعرفوا فوراً، ويجرد المسيحيون البارزون من ألقابهم وممتلكاتهم، فإذا أصروا على المسيحية تقطع رؤوسهم أما النساء المتزوجات فيجردون من ممتلكاتهن وينفون. وأما صغار المؤمنين من يعترفون بمسيحياتهم فمصيرهم أن يقيدوا بالسلاسل ويرسلوا للعمل في جناح الإمبراطور، وقد دفع هذا الإمبراطور أسيراً في يد الفرس ومات في الأسر.
- 9- **اوريليان (270-275م) :** أصدر مراسيم جديدة يقتل المسيحيين - انتشرت في عهده حرائق مروعة في أماكن

كثيرة.

رابعاً : الإضطهاد الأعظم :

10 - **دقلديانوس وأعوانه (284-305م)** : جميع الإضطهادات التي حدثت تتضاءل أمام سلسلة الإضطهادات التي أحدثها دقلديانوس وأعوانه. ويسبب شراسة هذا الإضطهاد أعتبر أن سنة 284م وهى بداية حكم دقلديانوس هى بداية تاريخ الشهداء (التقويم القبطى).

دقلديانوس كان هن اكفا الأباطرة الذين حكموا؟ الإمبراطورية (سياسياً وإدارياً).

أختار مكسيمانوس القائد المحنك ليعاونه فى؟ الحرب وأصبح دقلديانوس إمبراطوراً على الشرق، ثم عاد وعين مساعداً له فى الشرق (جالوريوس زوج ابنته) ومساعداً لمسكيمانوس فى الغرب وهو قسطنطيوس والد قسطنطين الكبير.

كان دقلديانوس يدعو نفسه رب وسيد العالم، ولم يكن يسمح لأحد؟ بالإقتراب منه إلا وهو راكع ولامس جبهته بالأرض.

بدأ عهده مسالماً للمسيحيين؟ وظل هكذا لمدة عشرين سنة، وكان معظم خدامه وخصيانه من المسيحيين قيل أن زوجته بريسكا وابنته فالريا كانتا مسيحيين.

أسباب التحول :

ذهب مرة للمعبد؟ واصطحب معه رجال بلاطه فإنتهز الكاهن الوثنى الفرصة وقال للإمبراطور - أن الآلهة لا تتكلم فى

حضرة أعدائها فقام دقلديانوس بطرد كل من لا يبخر للأوثان من رجال البلاط والحاشية هذا رأى وهناك رأى آخر يقول

أن دقلديانوس غير رأيه لتعصب جالوريوس زوج ابنته الذى كان وحشاً مفترساً، بالإضافة إلى ذلك فقد حدث حريق مرتين

فى أسبوع واحد فى قصر دقلديانوس وأعتبر أن المسيحيين هم السبب.

أصدر عدة؟ مراسيم للقبض على المسيحيين لتقديم الضحايا للآلهة الوثنية، وهدم جميع الكنائس وتسويتها بالأرض وإعدام كل من يشارك فى إجتماعات دينية، ومصادرة كل أملاك الكنائس والمسيحيين، مع الحرمان من كافة الحقوق الوطنية والطرد من الوظائف الحكومية، وحرق كل الكتب المقدسة. هذا فضلاً عن القبض على الآلاف والتنكيل والتعذيب حتى الموت.

أعتزل دقلديانوس الحكم 305م بعد أن أصيب بلوثة عقلية؟

فى عام 303م بلغ عدد الذين استشهدوا حوالى 700,000 وعدد الذين نشروا حوالى 140.000 وبذلك بلغ عدد الشهداء والمشردين فى عام 303 فقط 840.000 مسيحياً ومن مشاهير الشهداء فى عصره (البابا بطرس خاتم الشهداء - مارمينا - مارجرجس - القديسة دميانه - القديس أبانوب... الخ).

خامساً: دوافع الإستشهاد فى المسيحية :

لقد كان الشهداء يعانقون الموت فى فرح وهدوء ووداعة وشجاعة نادرة والسبب فى ذلك :

1- أنهم كانوا يعرفون أن هذا العالم وقتى بالقياس بالحياة الأبدية "العالم يمضى وشهوته معه".

2- كانوا يشعرون أنهم غرباء فى هذا العالم "سيروا زمان غربتكم بخوف" (1بط 1:17).

3- الحياة فى العالم حزن وألم وضيق "الحق أقول لكم أنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح"، "أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح" (يو 16:20).

4- عرفوا أن نهاية ضيقات وأحزان هذا العالم تؤول إلى مجد عظيم فى السماء "نعلم أنه إذا ظهر نكون مثله لأننا سنراه سما هو" (1يو 3:2).

ومن أجل هذا زهدوا فى كل شئ، ثم اشتهوا الإنطلاق من الجسد وفعلوا كل ذلك عن حب وشهوة.

ويمكن تقسيم الشهداء من حيث دوافع إستشهادهم إلى ثلاث فئات :

أ- شهداء من أجل ثباتهم على الإيمان المسيحى عامة (الغالبية من الشهداء).

ب- شهداء من أجل الحفاظ على عفتهم وطهارتهم مثل: (بوطامينا العفيفة فى زمن سيتموس ساويرس - برينيو فى قرطاجنة - ثيودورة العفيفة زمن دقلديانوس - فيرونيا العذراء الشهيدة زمن العرب).

ج- شهداء من أجل العقيدة (مينا شقيق الأنبا بنيامين الـ 38).

سادساً: العذابات التي احتملها الشهداء :

وهذه الإضطهادات تنقسم إلى (إضطهاد أدبي - إضطهاد جسدي).

أولاً: أدبي: ويشمل الإهانات والتحقير - الفصل من الوظائف - مصادرة الأموال والممتلكات - فقد حقوق المواطنة - سلب البيوت والأمتعة - فقد حق التقاضي أمام المحاكم.

ثانياً: التعذيب الجسدي : مثل:

- نزع الأظافر - رفع النساء إلى أعلى بالأت خاصة وأجسادهن عارية؟ وكان هذا المنظر يعرض على المتفرجين.
- السحل على الأرض فى الشوارع (القديس مار؟ مرقس الرسول).
- إلقاء المعترفين فى بحيرات جليدية متجمدة (شهداء سيستية)؟
- السلخ أو كشط الجلد واللحم حتى يصلوا إلى العظم والأحشاء؟
- مرور عجلات؟ مسننة فوق جسم المعترف، وهو نائم على الأرض.
- نشر الجسم والعصر بالهنازين؟
- صب رصاص أو قار مغلى فوق أجساد المعترفين؟
- الحرق بكل درجاته - الربط؟ بقضيبين كبيرين بشجرتين متباعدتين.
- الشنق وقطع الرأس بالسيف أو الفأس -؟ الإلقاء فى البحر.
- الصلب - دفن الإنسان حياً - الإلقاء للوحوش؟

سابعاً: فئات الشهداء :

- 1- أمراء : يسطس بن نوماريوس الملك.
- 2- نبلاء : ماربقر بن رومانوس.
- 3- ولاية : اريانوس وإلى أنصنا - مناس وهرموجين ماسما الإسكندرية - اركابنوس وإلى سمنود.
- 4- ضابط عظام : مرقوريوس أبى سيفين - مارجرس - مارمينا - سرجوس وواخس).
- 5- جنود : تاوضروس المشرقى - ايسخرون القلبنى.
- 6- أساقفة : أغناطيوس الأنطاكي - بوليكر بوس أسقف أزمير.
- 7- قسوس : اباكلوج القس - ابا ليجول القس.
- 8- شمامسة : استقائوس ساتكنوس.
- 9- رهبان وراهبات.
- 10- أمهات : الشهيذة رفقة - الأم دولاجى.
- 11- شباب : ديديموس وثيدورة.
- 12- أراخنة وفلاحون وأرباب حرف.
- 13- عبيد وإماء.
- 14- فلاسفة وعلماء : يوستينوس المواقع والشهيد.
- 15- سحرة وكهنة أوثان : أثناسيوس الساحر - اسكندر الساحر.
- 16- جماعات الكنيسة : الطيبة وعددها 6666 مذبحة أسنا - أخميم - أنصنا.
- 17- أطفال : أبانوب - قرياقص.

ثامناً: تقييم الإستشهاد فى المسيحية :

1- الإستشهاد شهوة : القديس اندراوس الرسول عندما صلبوه حدثت زلزلة عظيمة وهرب صالبيه، وأراد

تلاميذه أن ينزلوه من على الصليب، ولكنه رفض وعانق الصليب معلناً محبته للمسيح المصلوب.

- العلامة أوريغانوس أشتهى الشهادة وكان يشجع والده قائلاً: "أحذر من أن تغير موقفك بسبنا".

- الأنبا أنطونيوس نزل إلى العالم لكى ينال إكليل الشهادة.

- الأنبا بسادة أسقف أبصاي بأخميم ارتدى الثياب البيضاء يوم استشهاده.

2- الإستشهاد شجاعة : يوسابيوس القيصرى يقول: لم يكن المرء يتمالك نفسه من الدهشة أمام الثبات الذى لا

يقهر الذى أبده هؤلاء المباركون (الشهداء)، والجلد الذى لا يتزعزع الذى أظهره أولئك الذين كانت أجسادهم لا

تزال غضة (شباب).

- القديس يوستينوس الشهيد يقول: لا شئ يستطيع أن يحولنا عن إيماننا، لا سيف القاتل وصليب الضيق، ولا أنياب الوحوش الضارية، ولا القيود ولا النار، لا الضرايبات بأى نوع، بقدر ما يزيدوا ألامنا بقدر ما يزداد عدد المؤمنين، ويقدر ما يزداد عدد التلاميذ الذين ينحازون إلى جانب المسيح.

3- الإستشهاد كرازة : العلامة ترثليانوس استمروا فى تعذيبنا، اطحنونا إلى مسحوق، فإن إعداننا تتزايد يقدر ما تحصدوننا.

القديس أغسطينوس: "تأملوا يا أخوتى ماذا يفعل يسوع، أن ذنباً واحداً لو ألقى بين غنم كثيرة ولو بلغوا عدة الآف لأرتعب القطيع كله على الرغم من عدم قدرة الذنب على إقتراس الكل، لكن الكل يخافونه، فأى مشورة وأى تدبير وأية قوة هذه حتى لا ينبت الله ذنباً وسط الغنم بل يرسل غنماً وسط الذئاب، فعندما اقتربت الذئاب الكثيرة الغنيمات القليلة، تحولت الذئاب إلى غنم".

4- الإستشهاد برهان على صدق الديانة المسيحية والفضائل المسيحية.